

## تفسير ابن كثير

يُخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأخْرَابه حين بعثوا إلى يهود بني النصیر بعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى : { ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطیع فيکم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنکم } قال الله تعالى : { وَاٰتَىٰهُمْ لِكَادِبُونَ } أي لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولوا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإنما لأنهم لا يقع منهم الذي قالوه ولهذا قال تعالى : { وَلَئِنْ قُوْتَلُوكُمْ لَا يَنْصُرُوكُمْ } أي لا يقاتلون معهم { وَلَئِنْ نَصَرُوكُمْ } أي قاتلوا معهم { لِيُولُونَ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُوكُمْ } وهذه بشارة مستقلة بنفسها كقوله تعالى : { لَأَنْتُمْ أَشَدُ رُهْبَةً فِي صُورَهُمْ مِّنِّي } أي يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله { إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَحْشِيَّةً } أو أشد خشية { وَلَهُذَا قَالَ تَعَالَى { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } ثم قال تعالى : { لَا يَقْاتِلُوكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قَرْبِ مَحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جَدَرٍ } يعني أنهم من جبنهم وهلعمهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبادرة والمقاولة بل إنما في حصن أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة .

ثم قال تعالى : { بِأَسْهَمِ بَيْنِهِمْ شَدِيدٌ } أي عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى : { وَيَذِيقُ بَعْضُكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ } ولهذا قال تعالى : { تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتِيٌّ } أي تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعي : يعني أهل الكتاب والمنافقين { ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقُلُونَ } ثم قال تعالى : { كَمْثُلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالْأَمْرِ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ } قال مجاهد والسدوي ومقاتل بن حيان : يعني كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس : كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحاق وهذا القول أشبه بالصواب فإن يهود بني قينقاع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أجلاهم قبل هذا .

وقوله تعالى : { كَمْثُلِ الشَّيْطَانِ إِذَا قَالَ لِإِنْسَانٍ أَكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بِرَبِّي مِنْكُمْ } يعني مثل هؤلاء اليهود في اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنکم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحمار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثلهم في هذا كمثل الشيطان إذ سول للإنسان - والعياذ بالله - الكفر فإذا دخل فيما سول له تبراً منه وتنصل وقال { إِنِّي أَخَافُ رَبَّ الْعَالَمِينَ } وقد ذكر بعضهم هنا قصة لبعض عباد بني إسرائيل هي كالمثال لهذا المثل لا أنها المراده وحدها بالمثل بل هي منه مع غيرها من الواقع المشاكلة لها فقال ابن جرير : حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النصر بن

شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحاق سمعت عبد الله بن نهيك قال : سمعت علياً عليه السلام يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنبها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاؤوا بها إليه فدواها وكانت عند فبيئها هو يوماً عندها إذ أعجبته فأتاه فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب : أنا صاحبك إنك أعييتنى أنا صنعت هذا بك فأطعني أنجك مما صنعت بك فاسجد لي سجدة فسجد له فلما سجد له قال إنني بريء منك إنني أخاف الله رب العالمين فذلك قوله : { كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنني بريء منك إنني أخاف الله رب العالمين } .

وقال ابن جرير : حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي حدثنا أبي عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية { كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنني بريء منك إنني أخاف الله رب العالمين } قال : كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنتها فإنك رجل مصدق يسمع قوله فقتلها ثم دفنتها قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلاها قتلها ثم دفنتها في مكان كذا وكذا فلما أصبحوا قال رجل منهم : والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا : لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك فقال الآخر : وأنا والله لقد رأيت ذلك قالوا : فوا والله ما هذا إلا لشيء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال إنني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجد له فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برضيضاً فـ والله أعلم .

وهذه القصة مخالفة لقصة جريح العابد فإن جريحاً اتهمته امرأة بغي بنفسها وادعى أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولی الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول ما لكم ما لكم ؟ قالوا يا عدو والله فعلت بهذه المرأة كذا وكذا فقال جريح اصبروا ثم أخذ ابنيها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك قال أبي الراعي وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظمه كلهم تعظيمًا بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب قال لا بل أعيدها من طين كما كانت قوله تعالى : { فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها } أي فكان عاقبة الامر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها { وذلك جزاء الطالمين } أي جزاء كل ظالم